

تفريغات

أصول الفقه الشافعي

لفضيلة الشيخ محمد بن صالح العثيمين

عضو هيئة كبار العلماء
والأستاذ بكلية الشريعة بالقصيم

- رحمه الله تعالى -

شرح شيخنا الفاضل العلامة

أحمد بن محمد بن عبد الرحمن بن عبد الوهاب

حفظه الله تعالى



معهد الميراث النبوي

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ نَحْمَدُهُ وَنَسْتَعِينُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ ، وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا
وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا ، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ ، وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ
لَهُ ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ
وَرَسُولُهُ .

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴾
(1)

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا
زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ
وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾ (2)

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴾ (٧٠) يُصْلِحْ لَكُمْ
أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا
عَظِيمًا ﴾ (3)

أَلَا وَإِنَّ أَصْدَقَ الْكَلَامِ كَلَامُ اللَّهِ وَخَيْرَ الْهُدَى هُدَى مُحَمَّدٍ وَشَرُّ الْأُمُورِ
مُخَدَّثَاتُهَا ، وَكُلُّ مُخَدَّثَةٍ بِدْعَةٌ وَكُلُّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ وَكُلُّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ .

أَمَّا بعد :

1 (آل عمران) الآية : 102)

2 (النساء) الآية : 1)

3 (الأحزاب) الآيتان : 70 ، 71)

فقد توقفنا في مدارس " أصول في التفسير " للعلامة " محمد بن صالح

العثيمين - رحمه الله تعالى - " عند قوله : " المكي والمدني "

وهذا المبحث من مباحث علوم القرآن - كما مر معنا - أن هذا الكتاب من المآخذ عليه اشتمل على مباحث متعلقة بعلوم القرآن لا بأصول التفسير ؛ أيضًا سبق معنا أن هذه الطريقة - وهي إدراج ما يُحتاج إليه في محله وإن كان - يعني - خارج عن أصول التفسير - أن هذه الطريقة تناسب المتعلمين وموافقة لطريقة التعليم في السنة النبوية ؛ وبالتالي كما سبق معنا مرارًا وتكرارًا أن هذه المؤاخذه هي منقبة وليست بمؤاخذه

المكي والمدني : اهتم العلماء بمعرفة ما نزل من القرآن زمناً ومكاناً وتاريخاً وكل ما يتعلق بالقرآن ؛ وهذا دلالة على حرص الصحابة - رضوان الله عليهم - وحرص من بعدهم من العلماء على جمع وتقرير وتقعيد كل ما يتعلق بالقرآن ، وهذا من حفظ الله - عز وجل - للقرآن حتى أين نزل ؟ ومتى نزل ؟ وعلى من نزل ؟ هو مدون ومكتوب ومنقول نقلاً معتبراً عند أهل العلم على حسب الروايات .

المكي والمدني ؛ اختلف العلماء في المكي والمدني يعني متى تكون السورة أو الآية مكية ؟ ومتى تكون السورة أو الآية مدنية ؟ فمنهم من نظر إلى مكان النزول ؛ فما نزل في مكة قيل له مكي ، وما نزل في المدينة قيل له مدني ؛ لكن إشكالية هذا الضابط أنه توجد آيات نزلت في غير مكة والمدينة فماذا تسمى ؟

وبالتالي هذا الضابط عندهم غير مُعتَبَر أو فيه قصور .

وقال بعض أهل العلم :

إن المكي : ما نزل قبل الهجرة سواء نزل في مكة أو غيرها .

والمدني : ما نزل بعد الهجرة سواء نزل في المدينة أو غيرها .

وهذا الضابط يمكن معه ضبط المكي والمدني ، والفرق بينهما :
- أن الأول : علق النزول بالمكان .

- والثاني : علق النزول بالزمان .

فالمكي زمنه نزوله قبل الهجرة والمدني زمنه نزوله بعد الهجرة .

والقرآن كما نعلم أنه نزل في سنوات متعددة ؛ ثلاث وعشرين سنة ، فلم ينزل جملة واحدة كما في الكتب السابقة .

يقول الشيخ - رحمه الله تعالى - : " المكي والمدني ، نزل القرآن على النبي - صلى الله عليه وسلم - مُفَرَّقًا " .

ومعنى " مُفَرَّقًا " : كما سبق أنه تنزل الآيات ، تنزل السورة كاملة أو بعض السورة بل كما سيأتينا - إن شاء الله - تنزل السورة أو ينزل بعض السورة ثم ينزل بعدها آيات من سورة أخرى ، فالنبي - صلى الله عليه وسلم - يقول للصحابه : " ضعوا هذه الآيات في سورة كذا بين آية كذا وآية كذا " ، فالقرآن نزل مُفَرَّقًا سوره وآياته ، قد تنزل السورة كاملة ، قد تنزل السورة مجزأة ، قد ينزل بعض السورة ثم تنزل سورة أخرى أيضًا مجزأة .

قال : " في خلال ثلاث وعشرين سنة "

فائدة هذا : للإشارة إلى أن معرفة المكي والمدني سببه هذا التفريق ، نزول القرآن مُفَرَّقًا إذ لو نزل جملة واحدة لحدد مكانه ، فلو نزل مثلاً جملة واحدة في مكة لقل كل آياته وسوره مكية ، أو نزل جملة واحدة في المدينة لقل كل سوره وآياته مدنية .

قال الشيخ : " قضى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أكثرها بمكة - أي ثلاثة عشر سنة بمكة وعشرة بالمدينة - ، قال الله تعالى : ﴿ وَقُرْآنًا

فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكُتٍ وَنَزَّلْنَاهُ تَنْزِيلًا ﴿٤﴾ " ؛ هذا استدلالٌ بهذه الآية على أن القرآن نزل مُفَرَّقًا مُنَجَّمًا ، وقد مر معنا ما يتعلق بحكمة ذلك مما فيه ذكر فائدة نزوله مُفَرَّقًا مُنَجَّمًا .

قال : " ولذلك قَسَمَ العلماء - رحمهم الله تعالى - القرآن على قسمين " ؛ يعني آياته وسوره ، يعني أحيانًا السورة كلها مكية إلا بعض آيات مدنية أو كلها مدنية إلا بعض آيات مكية ، أو كلها مكية أو كلها مدنية . فقال : " ولذلك قَسَمَ العلماء - رحمهم الله تعالى - القرآن إلى قسمين مكي ومدني .

فالمكي - يعني ضابطه عند العلماء - : ما نزل على النبي - صلى الله عليه وسلم - قبل هجرته إلى المدينة سواء نزل بمكة أو غيرها .

والمدني : ما نزل على النبي - صلى الله عليه وسلم - بعد هجرته إلى المدينة .

وعلى هذا فقوله تعالى : ﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا ﴾ 5 ؛ من القسم المدني " لماذا ؟

لأنه نزل بعد الهجرة ، وإن كان نزل بعرفة . يقول الشيخ : " من القسم الثاني وإن كانت - أي الآية - قد نزلت على النبي - صلى الله عليه وسلم - في حجة الوداع بعرفة ، ففي صحيح البخاري عن عمر - رضي الله عنه - أنه قال : (قد عرفنا ذلك اليوم) " ؛ أي الذي نزلت فيه هذه الآية لأن اليهودي قال : آية لو نزلت علينا معشر اليهود لاتخذنا ذلك اليوم عيداً ، " فقال عمر : (قد عرفنا ذلك

⁴ (سورة الإسراء [الآية : 106] .
⁵ (سورة المائدة [الآية : 3] .

**اليوم والمكان الذي نزلت فيه على النبي - صلى الله عليه وسلم - ،
نزلت وهو قائم بعرفة يوم الجمعة)، "؛ فهذه الآية مدنية .**

إذَا ؛ الشيخ - رحمه الله - اختصارًا ذكر الضابط المشهور المتداول والذي يقرب أنه اتَّفَق عليه ، وهناك ضوابط أخرى - يعني - بعض العلماء يقول : **" كل سورة فيها ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ ﴾ مكية ، وكل سورة فيها ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ﴾ مدنية "** ؛ لكن ما تنضبط كما سيأتي - إن شاء الله - ، الذي تنضبط معه التحديد بالزمان ، فما نزل قبل الهجرة مكي وما نزل بعد الهجرة مدني .

ثم قال الشيخ : **" ويتميز القسم المكي عن المدني من حيث الأسلوب والموضوع "** ؛ والمعنى أن علماء علوم القرآن وعلماء التفسير نظروا في الآيات المكية والسور المكية ونظروا في السور المدنية والآيات المدنية فوجدوا أن الأسلوب من حيث الأسلوب البلاغي يختلف المكي عن المدني ، لو أردنا أن نضرب مثالًا نجد مثالًا أن الآيات المكية فيها قسم وتأکید ﴿ زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ لَنْ يُبْعَثُوا قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ ﴾ 7 تأكيدات ، بينما الآيات المدنية ما فيها هذه التأكيدات ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا ﴾ 8 ؛ طبعًا هنا قال العلماء : لما كان الخطاب المكي قبل الهجرة لمنكري النبوة ومنكري البعث ومكذبين للنبي - صلى الله عليه وسلم - وخطاب للكفار كان هناك تأكيدات وأسلوب جازم ، ولما كان الخطاب في المدينة والآيات في المدينة نزلت

⁶ (أخرجه البخاري في كتاب الإيمان باب زيادة الإيمان ونقصانه ، حديث رقم (45) ، ومسلم كتاب التفسير باب في تفسير آيات متفرقة حديث رقم (3015) .

⁷ (سورة التغابن [الآية : 7] .

⁸ (سورة التحريم [الآية : 6] .

على المؤمنين المصدقين المطمئنين كان فيها الخطاب لا داعي هناك لتأكيد ؛ لأن المؤمن مستسلم ومُسَلَّم لأمر الله - عز وجل - ، هذا من حيث الأسلوب .

وأما من حيث الموضوع : فواضح جدًا أن الآيات المكية فيها إثبات البعث ، وفيها إثبات الألوهية لله - عز وجل - واستحقاقه للعبادة ، فيها مخاصمة المشركين والكافرين وجدالهم بالتي هي أحسن ، فيها مثلاً تقرير النبوة والرسالة إلى غير ذلك من العلامات والمواضيع ، بينما آيات السورة المدنية واضح أن مواضيعها تتكلم عن الأحكام ؛ الصلاة ، الصيام ، الحج ، الزكاة ، الجنة والنار من حيث الترغيب أو الترهيب ونحو ذلك ؛ فهذا الفرق بين الأسلوب والموضوع .

فقال الشيخ مبيِّنًا التميز والفرق بين المكي والمدني قال : " أما من حيث الأسلوب فهو الغالب في المكي قوة الأسلوب وشدة الخطاب لأن غالب المُخاطبين معرضون مستكبرون - يعني من المشركين والكافرين - ولا يليق بهم إلا ذلك ، اقرأ سورتي المدثر والقمر " .

لاحظوا قول الشيخ - رحمه الله تعالى - : " الغالب " ؛ يعني قد توجد سورة مدنية فيها أسلوب قوي ؛ لكن العبرة في المكي والمدني من حيث هو الغالب والنادر يبينونه - كما سيأتي - إن شاء الله - ، وقوة الأسلوب وشدة الخطاب - كما سبق - لأن المُخاطب من المشركين والكافرين والمستكبرين والمعرضين بحاجة لذلك ؛ ولذلك يقولون مثلاً - حتى في حياتنا العادية - مثلاً : أنت لو تتكلم مع إنسان يُصدِّقك وتعرف أنه لا يُكذِّبك تقول : حصل له كذا وكذا وكذا ، وإن تكلمت مع إنسان تعلم أنه لا يُصدِّقك أو أنه شاك فتقول له : والله حصل كذا وكذا وكذا !

فلماذا اختلف الأسلوب والقضية واحدة ؟

الجواب : لحال المُخاطَب .

طيب ؛ وقوله : " وشدة الخطاب " ؛ يعني من الألفاظ القوية المستعملة ﴿ وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ ﴾ (١) الَّذِي جَمَعَ مَالًا وَعَدَّدَهُ ﴿٢﴾ (9) وهكذا... ﴿ زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ لَّنْ يُبْعَثُوا قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ ﴾ (10) ؛ يعني بعبارات قوية .

قال : " وأما المدني - من حيث الأسلوب - فالغالب في أسلوبه اللين ، وسهولة الخطاب ؛ لأنَّ غالب المُخاطَبين مُقبلون منقادون - أي مؤمنون مسلمون محسنون - اقرأ سورة المائدة " .

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ أُحِلَّتْ لَكُمْ ﴾ (11) ، ما فيها تأكيدات ما فيها خطاب - يعني - قوي ؛ إنما فيها أسلوب النداء بصفات الإيمان ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ ﴾ إلى آخره ، ولاحظوا أيضًا قال : " لأنَّ غالب " قد توجد آية مدنية - كما سبق معنا - فيها شدة ، أو توجد آية مكية فيها لين .

طيب ؛ الثاني : " الغالب في المكي قصر الآيات وقوة المُحاجة ، لأن : " غالب المُخاطَبين مُعاندون مُشاقُّون ، فخطبوا بما تقتضيه حالهم ، اقرأ سورة الطور " ؛ يعني من علامات السور المكية أنَّ آياتها قصيرة ﴿ وَالطُّورِ ﴾ (١) وَكِتَابٍ مَّسْطُورٍ ﴿٢﴾ فِي رَقٍّ مَّنشُورٍ ﴿٣﴾ (12) آيات

ليست بالطويلة ولا بالمتوسطة قصيرة ﴿ اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ

⁹ (الهمزة ، الآيات : 2-1 .

¹⁰ (التغابن ، الآية : 7 .

¹¹ (المائدة ، الآية : 1

¹² (الطور ، الآيات : 3-2-1

الْقَمَرُ ﴿١﴾ وَإِنْ يَرَوْا آيَةً يُعْرِضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ ﴿٢﴾ وَكَذَّبُوا وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ ﴿١٣﴾ إِلَى آخِرِهِ ...

فندلحظ أن الآيات قصيرة مع قوة المُحاجة ؛ يعني إيراد الأدلة على وحدانية الله واستحقاقه للعبادة وعلى صدق النبي - صلى الله عليه وسلم - وإثبات نبوته ورسالته وإثبات البعث ؛ لأن غالب المُخاطبين مُعاندون مُشاقون فإيراد الحُجج في الكلام يقتضي ذلك من جهة أن المُخاطب مُعاند ، مُشاق نافر عن الحق " فخطبوا بما تقتضيه حالهم ، اقرأ سورة الطور - يعني كمثال - .

وأما المدني : فالغالب فيه طول الآيات وذكر الأحكام مُرسلةً بدون مُحاجة ، لأن حالهم تقتضي ذلك ، اقرأ آية الدِّين في سورة البقرة " ؛ يعني المؤمنون لما خُوطبوا ؛ خُوطبوا بآياتٍ طويلة لأنهم مُتشوقون للقرآن غير نافرين عن القرآن راغبون في سماع القرآن ، محتاجون لتعلم الأحكام الشرعية .

قوله : " وذكر الأحكام " ؛ أي من صلاةٍ وزكاةٍ وصيامٍ وحجٍ ونكاحٍ وطلاقٍ ونحو ذلك .

وقوله : " مرسلة " ؛ أي لا يحتاج عند ذكر الحُكم ذكر الحجة أو وجوب الإيمان بها ؛ لأنهم مؤمنون مقبلون غير نافرين .

قال : " وبدون مُحاجة - أي بدون مجادلة - لأنَّ حالهم - من الإيمان والتسليم والشوق والحب للقرآن - يقتضي ذلك " ؛ أي يقتضي طول الآيات ، يعني إنسان يحب كلامك تطيل معه الكلام ، والإنسان الذي تشعر أنه يمل

¹³ (القمر ، الآيات : 1-3-2)

من كلامك - يعني - تقصر معه من الكلام وما تُطيل معه الكلام .

ولاحظوا أيضًا قوله : " الغالب " : إذ قد توجد آيات مكية فيها ذكر الصلاة وهذه أحكام وقد تكون طويلة ، وقد توجد آيات مدنية فيها بعض الحُجج وفيها أيضًا أمر - يعني - بعبادة الله - عز وجل - والتوحيد .

وهذا كما سبق من حيث ماذا؟

من حيث الأسلوب ، وهذا من بلاغة القرآن .

والبلاغة : هو أن يقتضي الكلام وأن يتناسب مع حال المُخاطب شِدَّةً ولِينًا طولًا وقِصرًا ونحو ذلك .

" وأما من حيث الموضوع - يقول الشيخ - : فهو الغالب في المكي تقريرُ التوحيد والعقيدة السليمة خصوصًا ما يتعلق بتوحيد الألوهية والإيمان بالبعث لأن غالب المُخاطبين يُنكرون ذلك " .

ولاحظوا أيضًا الغالب في الآيات المكية تقرير التوحيد وهذا - كما سبق معنا - والعقيدة السليمة ؛ لكن توجد أيضًا آيات مدنية يوجد فيها التوحيد وتقرير التوحيد ، ولاحظوا ما يتعلق بتوحيد الألوهية لم يقل " الربوبية " ، ولم يقل " توحيد الحاكمية " ؛ " وإنما قال توحيد الألوهية " وهو توحيد العبادة وهو أفراد الله بأعمال العباد ؛ لأن هذا التوحيد هو النوع الذي حصلت فيه الخصومة بين الأنبياء والرسل وبين قومهم ، وأما " توحيد الربوبية " فغالبُ الكفار يُقرون به ، فلذلك يهتم المسلم في دعوته للنَّاس " بتوحيد الألوهية " مع تقرير الربوبية ، ولكن في دعوته يُحذِّرهم من الشرك يأمرهم بعبادة الله وحده لا شريك له .

قال : " وأما المدني فالغالبُ فيه تفصيلُ العبادات والمعاملات لأنَّ المُخاطبين قد تقرر في نفوسهم التوحيد والعقيدة السليمة فهم في حاجةٍ لتفصيلِ العبادات والمعاملات " ؛ من حيثُ كثرةُ الآيات والسور الواردة في الأحكام والمعاملات وإلا - كما سبق - هناك آيات وسور مدنية فيها تقريرُ العقيدة والبعث والإيمان بالرسول .

قال الشيخ : " الإفاضة - يعني الإكثار - في ذكر الجهاد وأحكامه والمنافقين وأحوالهم في القسم المدني لاقتضاء الحال " ؛ يعني لما نزلت آية السيف وأُذِنَ للنبي - صلى الله عليه وسلم - بالقتال وكان هذا بعد هجرته إلى المدينة فالآيات التي في الجهاد مدنية وكذا أحكام الجهاد وكذا المنافقين ؛ لأنَّ في مكة كان كفار يعلنون الكفر وأما المنافقون المندسون كانوا في المدينة يُظهرون الإسلام ويُبطنون الكفر ففضحهم الله - عز وجل - في آيات كما في سورة التوبة وغيرها .

قال : " ذلك حيث شرع الجهاد وظهر النفاق بخلاف القسم المكي " ؛ يعني بعد هجرته إلى المدينة وقامت دولة الإسلام فما استطاع المنافقون أن يظهروا كفرهم فكانت هذه علامة المدني .

إِذَا ؛ هذه بعض العلامات ، وهناك علامات أكثر للمكي والمدني ذكرها علماء علوم القرآن ولكن الشيخ ذكر أشهرها ، وذكر في العلامة الواحدة أو في العنصر الواحد أكثر من علامة ؛ يعني : قصر الآيات علامة ، قوة المحاجة علامة ، مثلاً قوة الأسلوب علامة ، شدة الخطاب علامة .
وإلا مثلاً فمن علامات المدني : الترغيب في الجنة والترهيب من النار .

من علامات المكي : ذكر البعث والنشور وإثبات ذلك بالأدلة ؛ الأرض القحط الجذباء التي إذا نزل عليها الماء تشققت وخرج الزرع وأنبتت

وصارت خضراء ، فصارت حية بعد أن كانت ميّنة ﴿ كَذَلِكَ يُحْيِي اللَّهُ الْمَوْتَى ﴾ 14 ؛ آيات كثيرة .

طيب ، فإن قيل ما فائدة معرفة المكي والمدني ؟

يعني هل المكي والمدني لمجرد التسلية ؟

هل المكي والمدني من باب الترف العلمي ؟

لا ، هناك فوائد كثيرة وعظيمة للمكي والمدني .

فيقول الشيخ : " معرفة المكي والمدني نوع من أنواع علوم القرآن المهمة "

هنا الآن ينصّ الشيخ على أنّه من علوم القرآن وذِكْرُهُ له - يعني في أصول التفسير- من باب الفائدة التي يحتاج إليها المتعلم .

قال : " وذلك لأن فيها - أي المعرفة - فوائد منها - أي من فوائد معرفة المكي والمدني ذكر أربع -

- أولاً : ظهور بلاغة القرآن في أعلى مراتبها ، حيث يخاطب كل قوم بما تقتضيه حالهم من قوّة وشدّة أو لين وسهولة . " ؛ فليس القرآن على أسلوب واحد للجميع ولكن خاطب الله - عزّ وجلّ - في كتابه كلّ فريق بما يناسبهم ؛ وهذه بلاغة .

" - ثانياً : ظهور حكمة التشريع في أسمى غاياته ، حيث يتدرج شيئاً فشيئاً بحسب الأهم على ما تقتضيه حال المخاطبين واستعدادهم للقبول والتنفيذ " ؛ يعني مثلاً : الكفار يناسبهم الدعوة إلى التوحيد ، توحيد الألوهية والإيمان بالبعث والإيمان بالرسول وإن خُوطبوا في بعض الآيات بالصلاة والزكاة ، والمؤمنون يناسبهم الخطاب بالأحكام

¹⁴ (سورة البقرة [الآية 73] .

والمعاملات والجهاد ونحو ذلك وإن خُوطبوا في بعض الآيات بالعقيدة وكانت هناك بعض الآيات فيها نوع من قوة الأسلوب .

" - ثلاثة : تربية الدعاة إلى الله وتوجيههم إلى أن يتبعوا ما سلكه القرآن في الأسلوب والموضوع من حيث المُخاطبين ، بحيث يبدأ بالأهم فالأهم ، وتُستعمل الشدة في موضعها والسهولة في موضعها " ؛ يعني ما تأتٍ لأناس يطوفون حول القبور ويذبحون لها وتكلمهم مثلاً عن تحريم الدخان ! وتكلمهم مثلاً عن تقليل الأظافر ! لا ؛ الأهم أن تدعوهم إلى التوحيد وإلى أفراد الله بالعبادة وأن لا يطوفوا حول القبور وأنهم لا ينفعونهم بشيء وأن الأمر كله بيد الله - عز وجل - وأن هؤلاء أموات لا يملكون لأنفسهم نفعا ولا ضرا .

ولاحظ أيضاً أن الشيخ قال : " وتُستعمل الشدة في موضعها والسهولة في موضعها " ؛ فهذا فيه تقرير للمنهج القرآني وهو أيضاً منهج نبوي ومنهج سلفي ؛ أن الشدة في موضعها وحكمة والسهولة في موضعها حكمة .

وينبني على ذلك أن الشدة في غير موضعها غلو وتجاوز للحد وأن السهولة في غير موضعها تضييع للحق ، وينبني على ذلك أن من يطالب الناس أو الدعاة أو طلاب العلم أو السلفيين أن يكون كلامهم كله سهولة وليّن وما في ردود وخلينا إخوان ونحن مؤمنين ونتمنى لهم الخير ! يا أخي ما أنت أحسن من الله - عز وجل - ومن الصحابة ومن النبي - صلى الله عليه وسلم - !

الله - عز وجل - في كتابه العظيم خاطب الكفار المعاندين بهذا الأسلوب الشديد لأنهم يحتاجون إلى ذلك ، بل أيضاً في مواطن خاطب

المؤمنين بشدة .

وتعجب ممن ينادي باللين والسهولة مع المخالفين وهو شديد متعسف على السلفيين - يعني - مثل ما يقال تجي تفهم ما تقدر، في الوقت الذي ينادي فيه بالسهولة واللين وترفقوا بالناس !
لسانه لاذع مع إخوانه السلفيين ؛ وهذا نذير سوء ويخشى على صاحبه
" رابعًا : تمييز الناسخ من المنسوخ فيما لو وردت آيتان مكية ومدنية يتحقق فيهما شروط النسخ فإن المدنية ناسخة للمكية لتأخر المدنية عنها ."

يعني : من فوائد معرفة المكي والمدني من جهة معرفة الناسخ والمنسوخ وذلك بأن تتعارض آيتان لا يمكن الجمع بينهما ، ونعرف أن هذه مكية وهذه مدنية ، فنقول المدنية ناسخة للمكية ، لماذا ؟
لأن من شرط النسخ معرفة التاريخ .

ولذلك قال الشيخ : " يتحقق فيهما شروط النسخ " من جهة التعارض وعدم إمكانية الجمع ، ومن جهة أيضًا معرفة التاريخ ؛ فالآية المكية متقدمة والآية المدنية متأخرة ، فالمدني ينسخ المكي إن تعارضا ولم يمكن الجمع .

أيضًا من فوائد معرفة المكي والمدني : بيان شدة اهتمام السلف الصالح بكل ما يتعلق بالقرآن ، - كما سبق - من أنواع علوم القرآن :
معرفة الحضري والسفري ؛ يعني ما نزل في الحضري في المدينة وما نزل في السفر ، بل عندهم الصيفي والشتائي ما نزلت آيات أو سور في فصل الشتاء أو نزلت في فصل الصيف ، بل عندهم الليلي والنهاري ما نزل في الليل أو في النهار ، بل عندهم ما نزل أيضًا - يعني - على فراش النبي -

صلى الله عليه وسلم - كله موجود ومنقول .

الحكمة من نزول القرآن مُفَرَّقًا ، طيب ؛ قبل هذا هناك مؤلفات في المكي والمدني ، وهناك أيضًا روايات عن ابن عباس وغيره في التنصيص على أن هذه الآيات مكية أو السور مكية أو مدنية ، وهناك أيضًا رسائل علمية في المكي والمدني وكلها مطبوعة وموجودة .

قال الشيخ - رحمه الله تعالى - : " الحكمة من نزول القرآن مُفَرَّقًا " ؛ يعني هو لما ذكر المكي والمدني وذكر أن سبب ذلك - نزول قرآن مُفَرَّقًا - ناسب أن يذكر لماذا نزل القرآن مُفَرَّقًا ؟

لماذا لم ينزل القرآن جملةً واحدة ؟

ما فائدة نزول القرآن في ثلاثٍ وعشرين سنة ؟

قال الشيخ - رحمه الله تعالى - : " من تقسيم القرآن إلى مكي ومدني يتبين أنه نزل على النبي - صلى الله عليه وسلم - مُفَرَّقًا ولنزوله على هذا الوجه - أي مُفَرَّقًا وليس جملةً واحدة - حكمٌ كثيرة منها :

تثبيت قلب النبي - صلى الله عليه وسلم - لقوله تعالى : ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نَزَلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلًا ﴾ 15

﴿ كَذَلِكَ ﴾ : يعني كذلك نزلناه مُفَرَّقًا .

الذين كفروا أرادوا أن يطعنوا في القرآن أنه ليس نزل عليك مُفَرَّقًا لماذا لم ينزل جملةً واحدة مثل الانبياء قبلك ؟

¹⁵ (سورة الفرقان [الآية : 32] .

فقال الله : ﴿ كَذَلِكَ ﴾ أي : نزل مُفَرَّقًا .

﴿ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ ﴾ : يعني كان النبي - صلى الله عليه وسلم - يتعرض لمصائب ومحن ومواقف شديدة من تكذيبٍ وطرده ومعارضة ، حتى كذبه عمه وحاربه أهله وطرده - صلى الله عليه وسلم - وقتل أصحابه في - يعني - مواقف فكانت شديدة عليه - صلى الله عليه وسلم - .

فكانت الآية لما تنزل تثبت قلب النبي - صلى الله عليه وسلم - ؛ وتثبيت قلب النبي - صلى الله عليه وسلم - من باب زيادة الاطمئنان ، من باب زيادة الاطمئنان ، ومن باب - يعني - الرحمة واللفظ به - صلى الله عليه وسلم - ؛ ولذلك قال : ﴿ كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلًا ﴾ ، فهو - صلى الله عليه وسلم - بشر ، الرسول - صلى الله عليه وسلم - بشر - وهذه المواقف والمصائب والمحن - يعني - يحتاج معه الإنسان البشري إلى - يعني - مثبتات ؛ بمعنى أنها تزيد في رسوخه وإيمانه - صلى الله عليه وسلم - .

قال : ﴿ وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا ﴾ 16

﴿ وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ ﴾ : يعني يأتيك الكفار والمنافقون ، بمثل يعارضون به الحق ويصد الناس عن سبيل الله ﴿ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا ﴾ : تنزل الآيات وتنزل السور ترد عليهم وتكشف باطلهم وتبينه ؛ ولذلك القرآن فرقان ؛ فرقانٌ بين الحق والباطل ، هذا أولاً .

ثانيًا : أن يسهل على الناس حفظه وفهمه والعمل به ، هذا طبعًا في زمن الصحابة لأنهم كانوا - يعني - قلة الكتابة عندهم أو قلة أدوات الكتابة ، وجود كتبة ، هناك عدد - يعني - ليس بالقليل موجود يكتبون ولكن ليس الغالب ، فكان الصحابة يعتمدون على الحفظ في الصدور ، فلو

16 (سورة الفرقان [الآية : 33] .

نزل جملة واحدة لربما - يعني - عسر عليهم أو صعب عليهم حفظه ، فكان مناسب لزمن الصحابة أن ينزل مُفَرَّقًا آيات وسور تُحفظ شيئًا فشيئًا ؛ فيسهل عليهم حفظه ويسهل عليهم فهمه ويسهل عليهم العمل به ، لأن القرآن نزل ليعمل به وليتدبر وليقرأ .

قال : " حيث يُقرأ عليهم شيئًا فشيئًا لقوله تعالى : ﴿ وَفَرَّانًا فَفَرَّانَهُ لِنَتَقَرَّاهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مَكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ تَنْزِيلًا ﴾ (17)

3 - نزل مُفَرَّقًا من باب تنشيط الهمم لقبول ما نزل من القرآن وتنفيذه ، حيث يتشوق الناس بلهفٍ وشوقٍ إلى نزول الآية لاسيما عند اشتداد الحاجة إليها ، كما في آيات الإفك واللعان " ؛ يعني أن النفس البشرية تنشط وتسرع وتفرح وتتشوق لنزول القرآن لأنه يعلمون أن الوحي لازال مستمرًا ولن ينقطع الوحي إلا بموت النبي - صلى الله عليه وسلم - كما قال عمر - رضي الله عنه - ، فإذا ؛ هذا من فوائد نزول القرآن مُفَرَّقًا .

"4 - التدرج في التشريع حتى يصل إلى درجة الكمال كما في آيات الخمر ، الذي نشأ الناس عليه وألفوه وكان من الصعب عليهم أن يُجابهوا - يعني أن يواجهوا - بالمنع منه منعًا باتًا - يعشقون الخمر ويتغزلون فيها ويقولون فيها الأشعار ، ويقولون : اليوم سُكَّرَ وغدًا أُمِّرُ - ، فنزل في شأنه - أي في الخمر - أولًا قوله تعالى : ﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ ۖ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَا ﴾ (18) ؛ فكان في هذه الآية تهيئة للنفوس لقبول تحريمه حيث إن العقل يقتضي أن لا يمارس شيئًا إثمه أكبر من نفعه " .
طبعًا هنا قوله : " فنزل في شأنه أولًا " ؛ أي من جهة الإشارة إلى ضرر

¹⁷ (سورة البقرة [الآية 219] .
¹⁸ (سورة الإسراء الآية 106

الخمير ، وإلا نزلت آيات قبلها من جهة الامتنان به : ﴿ تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا وَرِزْقًا حَسَنًا ﴾ (19) ؛ فمراد الشيخ هنا من جهة لفت الأنظار إلى أن شرب الخمير أمرٌ ليس بالجيد ؛ لأنه إذا قيل لك بأن الخمير فيه إثم وفيه منافع فمعناه فيه مضار .

والإثم هنا هل هي المضار؟ أم هل هي الذنوب والمعاصي ؟ أم جميع ما سبق ؟

هذا حسب أقوال بعض المفسرين ؛ لكن يظهر هنا " أن فيهما إثم " ؛ أي ضرر لأنها لم تحرم بعد ، ومنهم من قال : " فيهما إثم " ؛ بمعنى الذنوب ، أي أن الإنسان إذا شرب الخمير فعل القبائح فوقع في الإثم ، لا من حيث شرب الخمير ولكن من حيث ما يترتب على شرب الخمير . المهم أن الشيخ أراد أن يبين أن أول ما نزل من حيث لفت الأنظار لضرر الخمير هذه الآية .

قال : " ثم نزل ثانيًا قوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَى حَتَّى تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ ﴾ 20 - يعني أيضًا لم تحرم مطلقًا وإنما حرمت وقت الصلاة - فكان في هذه الآية تمرين على تركه في بعض الأوقات ؛ وهي أوقات الصلوات ، ثم نزل ثالثًا قوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رَجَسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ (٩٠) 21 ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ ﴾ (٩١) 22 ﴿ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَاحْذَرُوا فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَأَعْلَمُوا إِنَّمَا عَلَى رَسُولِنَا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ

19 (سورة النحل الآية 67

20 (النساء من الآية : 43 .

21 (سورة المائدة [الآية : 90] .

22 (سورة المائدة [الآية : 91] .

(٩٢) 23 ؛ فحُرِّمَت الخمر هنا في هذه الآيات .

قال الشيخ : " فكان في هذه الآيات المنع من الخمر منعًا باتًا - أي مطلقًا - في جميع الأوقات ، بعد أن هُيِّئَت النفوس ، ثم مُرِّنَت على المنع منه في بعض الأوقات " .

" هُيِّئَت " : بذكر ما فيه من الضرر ، و " مُرِّنَت " : في تركه في بعض الأوقات ، حتى نزل التحريم بالمنع كليًا ؛ أي بالمنع من شرب الخمر كليًا ، ففي هذا - يعني - فائدة من جهة الحكمة في التشريع .

أيضًا ذكروا لأن القرآن مشتمل على " ناسخ ومنسوخ " ؛ فينزل المنسوخ أولًا ثم ينزل الناسخ بعده ، فحتى يتميز هذا من هذا نزل مُفَرَّقًا واللَّهِ - عز وجل - يعلم السر وأخفى ، فكانت الآيات أيضًا تنزل مواكبةً للأحداث والوقائع كما مر معنا في أسباب النزول وإجابةً على بعض الأسئلة .

ترتيب القرآن :

ترتيب القرآن : يعني - أيضًا هذا من علوم القرآن - ، ويبحثون عن ترتيب القرآن من حيث :

أولًا : ترتيب السور بعضها مع بعض هذا النوع الأول .

ثم النوع الثاني : ترتيب الآيات بحيث كل آية تكون في موضعها ،

ثم وهذا النوع الثالث : ترتيب الكلمات في الآية ، فيبحثون ترتيب القرآن من حيث بيان هل هو توقيفي أم اجتهادي ؟

فيقول الشيخ - رحمه الله تعالى - : " ترتيب القرآن : تلاوته تاليًا بعضه بعضا " ؛ يعني سورة الفاتحة ، ثم البقرة ثم آل عمران ، ثم ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ

23 (سورة المائدة [الآية : 92] .

17 المحرم 1442

عنهم - : (في قوله تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ يَتُوفُونَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا وَصِيَّةً لِأَزْوَاجِهِمْ مَتَاعًا إِلَى الْحَوْلِ غَيْرِ إِخْرَاجٍ ﴾ 25 ، قد نسختها الآية الأخرى يعني قوله تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ يَتُوفُونَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا ﴾ 26 ، قال : وهذه قبلها في التلاوة ، قال : فلم تكتبها ؟ قال عثمان - رضي الله عنه - يا ابن أخي لا أغير شيئاً من مكانه (27) ؛ يعني لو جينا نظرنا إلى هاتين الآيتين في مسألة واحدة .

ماهي المسألة ؟

هي مسألة عدة المتوفي عنها زوجها ؛ الآية الأولى جعلتها سنة وهذه هي الآية المنسوخة ، الآية الثانية جعلتها أربعة أشهر وعشرا- عشرة أيام - وهذه الآية هي النسخة .

طيب ؛ في المصحف الآية النسخة رقم (234) والآية المنسوخة رقم (240) - يعني - بعدها بآيات عدة آيات

فلم لم نكتب الآية المنسوخة أولاً فتكون هي رقم (234) والآية النسخة نؤخرها فتكون (240) ؟

لأن القارئ يأخذ بالمتأخر ، فقال عثمان - رضي الله عنه - : " **هكذا هي مكتوبة ولا نغير شيئاً** " ، وهكذا هي أنزلت وهذا هو النص ، كونها أنزلت كذلك في ترتيب الكلمات وفي ترتيب الآيات ؛ هذا هو النص على نزولها ، وقراءة النبي - صلى الله عليه وسلم - لأصحابه كذلك .

²⁵ (سورة البقرة (240)

²⁶ (سورة البقرة (234)

²⁷ (أخرجه البخاري كتاب التفسير باب ﴿ وَالَّذِينَ يَتُوفُونَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا ... ﴾ الآية حديث رقم (4530) .

دليل آخر قال : " وروى الإمام أحمد وأبو داود والنسائي والترمذي من حديث عثمان - رضي الله عنه - أن النبي - صلى الله عليه وسلم - كان ينزل عليه السور ذوات العدد - يعني الطويلة - ، فكان إذا نزل عليه الشيء دعا بعض من كان يكتب - وهؤلاء الذين يسميهم العلماء كتّاب الوحي كعواوية وابن مسعود وأبي زيد وغيرهم - فيقول : ﴿ ضعوا هذه الآيات في السورة التي يذكر فيها كذا وكذا ﴾ 28 " ؛ فهذا نص على أن ترتيب الآيات توقيفي ؛ ومعنى كونه توقيفياً أي مأخوذاً عن النبي - صلى الله عليه وسلم - .

النوع الثالث : ترتيب السور بحيث تكون كل سورة في موضعها من المصحف ؛ وهذا ثابتٌ بالاجتهاد فلا يكون واجباً ، وفي صحيح مسلم عن حذيفة بن اليمان - رضي الله عنه - أنه قال - أنه ؛ أي حذيفة - : صلى مع النبي - صلى الله عليه وسلم - ذات ليلة فقرأ النبي صلى الله عليه وسلم البقرة ثم النساء ثم آل عمران) 29 .

ورى البخاري تعليقاً عن الأحنف : (أنه قرأ في الأولى بالكهف وفي الثانية بيوسف أو يونس ، وذكر أنه صلى مع عمر بن الخطاب الصبح بهما) 30 .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية : " تجوز قراءة هذه قبل هذه " - أي السورة - وكذا في الكتابة ولهذا تنوعت مصاحف الصحابة - رضي الله عنهم - في كتابتهما ، لكن لما اتفقوا على المصحف في زمن عثمان -

28 (أحمد (399) وأبو داود (786) ، والنسائي في السنن الكبرى (8007) والترمذي (3086) .
29 (أخرجه مسلم كتاب الصلاة المسافرين باب استحباب تطويل القراءة في صلاة الليل حديث رقم (772) .
30 (أخرجه البخاري كتاب الآذان باب الجمع بين السورتين في الركعة .

رضي الله عنه - صار هذا مما سنّه الخلفاء الراشدون ، وقدّ دلّ الحديث على أن لهم سنةً يجب اتباعها " ؛ يعني أن ترتيب السور هناك من أهل العلم من يرى أن ترتيب السور مأخوذٌ عن النبي - صلى الله عليه وسلم - ، وهناك من أهل العلم من يرى أنه اجتهادي

طيب ؛ ما دليل من يرى أنه اجتهادي ؟

دليله : أن النبي - صلى الله عليه وسلم - قرأ البقرة ثم النساء ثم آل عمران ، والموجود عندنا في المصاحف سورة البقرة ثم آل عمران ثم النساء ، وكذلك الكهف هي بعد يوسف ويونس ، فدل هذا على أن ترتيبها غير مُلزم ؛ فممكّن تقرأ هذه ومممكّن تقرأ قبل هذه .

طيب ؛ الذين يقولون أن القرآن توقيفي في ترتيب السور يجيبون على أن هذا كان في بداية الأمر ثم استقر على الترتيب الذي أجمع عليه الصحابة ؛ لأن زيد بن ثابت - رضي الله عنه - هو الذي شهد العرضة الأخيرة التي دارس فيها جبريل - عليه السلام - القرآن مع النبي - صلى الله عليه وسلم - فكتبه كما في العرضة الأخيرة .

عمومًا المسألة خلافية كما ذكر الشيخ - رحمه الله تعالى - ، وكأن شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله تعالى - يشير إلى أن الأفضل قراءة السور بالترتيب الموجود في المصحف ؛ ولكن إن قرئت بتقديم بعضها على بعض فلا حرج في ذلك ولا بأس والله أعلم .

وبعد أن تكلم عن ترتيب المصحف سيتكلم الشيخ أيضًا - وهذا من علوم القرآن - عن كتابة القرآن وجمعه

كيف بدأ ؟

ولماذا جُمع القرآن ؟

وكيف كان القرآن عند موت النبي - صلى الله عليه وسلم - ؟
هل جُمع كاملاً في حياته أم لا ؟ وكم مرة جُمع فيها القرآن ؟
وما أسباب ذلك ؟
وهذا - إن شاء الله - ما سيكون في اللقاء القادم بإذن الله تعالى .
وأكتفي بهذا القدر وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله
وصحبه أجمعين
والحمد لله رب العالمين .



فريق صيانة السلفي